

## مشكلة زائفة لدى المتكلمين

للدكتور حامد طاهر

.. واستمرارا لبيان المشكلات الزائفة في مجال علم الكلام لدى المسلمين، سوف أعرض اليوم لمسألة أثارت الجدل بين المتكلمين، وتنازعت بسببها الفرق الكلامية، وشغلت مساحة لا بأس بها في أدبيات علم الكلام، وما زالت تدرس لطلابها حتى الآن، وهي مسألة: زيادة الإيمان ونقصه.

وإذا كان (الإيمان) هو الركيزة الأساسية التي تنبنى عليها عبادة الله الواحد الأحد، وهو الذي يفترق الناس جميعا على أساسها إلى فريقين: فريق مؤمن وفريق كافر. وهما اللذان يؤولان إلى فريق في الجنة وفريق في السعير، فإن القرآن الكريم قد اهتم اهتماما كبيرا بهذا الإيمان، بدعا من هداية الله لأصحابه تبعا لمشيئته، ومركزا على تثبيت دعائم هذا الإيمان في قلب المؤمن من خلال الدلائل المؤكدة لقدرة الله على الخلق والإحياء والإماتة، وما يتلوها من البعث والحساب والجزاء. ومن الجدير بالتأمل أن معظم آيات القرآن الكريم التي ذكرت (المؤمنين): ألحقت بهم مباشرة (وعملوا الصالحات)، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الإيمان المركوز في القلب لا بد

أن تدعمه أعمال الخير والإصلاح .

وقد ارشدتنا السنة النبويه الي المتفرقه الدقيقه بين ثلاثة مفاهيم متقاربه ، وقد تكون متداخله احيانا ، وهي : الإسلام والإيمان والإحسان في الحديث المجيب علي أسئلة جبريل عليه السلام ، بقوله ، صلي الله عليه وسلم: الإسلام هو شهاده أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاه ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . و الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره . و الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

أما بالنسبه إلي ما ورد في القرآن الكريم صريحا و بغايه الدوضوح فيما يتعلق بزيادة الإيمان و نقصه فيتجلي من الآيات التاليه التي تؤكد كلها أن (الإيمان يزيد ..) وهذا معناه أنه قد ينقص ، أو حتى يتلاشى — والمعياذ بالله ) .

1— (هو الذي أنزل المسكينه في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا) [الفتح، آية4]

2— (ليستيقن الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا) [المدثر آية31]

3— (وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) [الأحزاب ، آية22]

4— (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) [التوبة، آية 124]

5— (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً) [آل عمران، آية 173]

6— (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) [الأنفال، آية 2]

ومن العجيب أن هذه الآيات الواضحة الدلالة كانت بمنأى عن مناقشات المتكلمين الذين اندفعوا بجدلهم العقيم حول (زيادة الإيمان ونقصه). ومن الواضح أنهم لو كانوا قد رجعوا إليها وتدبروا معناها لما أثاروا تلك المشكلة من الأساس، والتي أعتبرها من المشكلات الزائفة، وهي التي تقرر مناهج البحث بروزها في فترات الضعف الفكري أو الضغط السياسي الذي يمنع العلماء من مناقشة القضايا الحقيقية التي تهم المجتمع وتحقق له التنمية وتدفعه إلى التقدم، ولذلك يلجأ أمثال هؤلاء (العلماء) إلى مناقشة أمور لا تنبع من الواقع، ولما تهدف إلى إصلاحه. والله ولي التوفيق.